مقالات الأستــاذ سعدالدين شراير

توجيه المعارك الهامشية

قرأنا في مرحلة التعليم الابتدائي نصا أدبيا يروي فيه الكاتب سيلان شيء من الحبر على ورقة، وعوض رميها، بادر التلميذ إلى رسم صورة حيوان جميل تصبح بها نقطة الحبر بقعة في جسده، فشكر المعلم صنيعه.

يحدث اليوم توجيه النفايات من القمامات إلى الصناعات، ويلتقط الصالح منها ويجمع ويُسَوَّقُ ويُحوَّل.

المعارك الهامشية تطفو اعتباطا أوعمدا، وفي حياة البشر نفايات سلوكية كثيرة، لكن الحذاقة تكمن في تحويلها.

ولا غرو فقد حوَّلت حضارة الإسلام عنجهيات بشرية إلى طاقات خلاقة بالمواصفات نفسها ولم تمحُ وجودها بل

وجهتها إلى إطارها الفطري الصحيح، لتصبح نفعا بعد فساد، وعبرة بعد جُرْمٍ، تحدق بها البصيرة الحضارية إلى آفاق لتقلصَ مسافات وأوقات النصر والتمكين.

ولغير المسلمين أحيانا دهاءُ استغلالها وتعفين واقعها، رسميا أومافياويا أوفرديا أوجماعيا، لإحراز الانتصار والتموقع والوقاية.

فرأس النفاق أراد توجيه تهاوش هامشي بين مهاجري وأنصاري، في المريسيع بصخب فتان.

لكنَّ الوحي ضَمِنَ بها وحدةً طاردةً أسباب العود إلى الوراء المنبوذ، وحوَّل بقايا نعرات إلى عواطف فاضلة.

حسمُ المعارك الهامشية يصون الأمة

وينجيها، بأضعف الإيمان، أما أفواه فتوجيهها لئلا يستخدمها السوء.

لننظر إلى جرأة العلمانيين بما يملكون من إعلام جرارٍ في توجيهها لصالحهم مدَّعين حماية الشعوب والحريات، للتترس بها عن فضائحهم.

استطاعوا في الجزائر توجيه حراك 2019م، فنجحوا إلى حد بعيد بجرأتهم الميدانية في قلب الرأي العام العامي، فانجر وراءهم نحو تحريف المقصد الوطني بأساليب التوجيه الذكي للأحداث.

متدربٌ يضربه ضابطٌ بحزامٍ، فاستُغلت الحادثة بتحريف الرأي الحاضر ضده لأنه ملتزم بالصلاة.

ولقد حدث الكثير في سنوات الصحوة

الإسلامية للشباب توجيه أخطائهم البشرية الطبيعية نحو توهينهم، وانتشرت كلمة (زعم يصلي).

المسؤول الناجح ينتصب للقيادة ويدير التشنجات المهنية بعقل حصيف ويحولها إلى منابع تَفَهُّمٍ وتعاون.

والمهني الناجح ينأى عن استثمارها السيء ويعوضها بعبقرية التعاون على إنشاء الحلول.

والغضب الرياضي يوجه من تكسير كراسي الملاعب إلى الطرق الصحيحة للاحتجاج على النادي لا على المنشآت الجامدة غير المذنبة.

معركة إعادة مباراة الجزائر والكامرون يمكن توجيهها نحو إنقاذ العقل من الأوهام والشعوذة والخرافة والشبهات، وتدريبه

على أساليب التعامل مع الأخبار، وصونه من الاختطاف، عوض الاكتفاء بالرد والتكذيب ومنح فرصة اشتداد سعارها عند الغير.

كل خلافات الصبيان عراكات ومشاكسات ومناوشات مصدعة للرؤوس مقضجة للمضاجع، وأيسر الطرق كفهم بصرامة يسترجع طبيعة الجو، لكن أفضلها توظيف رشد العقل في توجيه بعض أحداثها الإيجابية المستعملة سلبا في تماسك الأسرة، ورصِّ الأفراد ببعضهم.

من العبقرية توجيه خلاف اثنين نحو العمل المشترك عوض الاكتفاء بفك النزاع فقط.

للعقل معارك هامشية في العقائد والفكر والعلوم، يحسن بعد الإقناع بتفاهتها

توجيهها وترقيته بها إلى مستويات التأثير في هذه المجالات بقواعد وأحكام كلية.
والمعارك الهامشية الفقهية دائمة الإختلاف في كل زمن وظرف ومكان يمكن توجيهها نحو التفاعل مع قيمة العلم في خوض المسائل، وتأصيل الأحكام وتفاوتها وترتيبها وتوظيف القواعد، وفهم النصوص، وغيرها من الضوابط عوض الصد والرد الذي لا يزيد الطوائف إلا اشتدادا على بعضها.
العلم والعقل ليسا مِعْوَلَيْنِ يُرفعان في وجه كل ناعق، وإنما قائدان إلى أمان نفسي واجتماعي حضاري.
سبيل العقل هو التغيير لا التجميد، والبناء الاجتهادي، وتبديل إرهاق البدن وضياع الوقت بالإبداع.

على العقل الكامن في الأمة أن يمعن النظر والاستدلال جيدا لاتقاء الحروب الهامشية، فإن وقعت وجهها وأنقذ بها البشرية عوض الانعزال ليغتنمها غيره، لأن الحياة تأبى الفراغ.

ويبقى التعليم والتربية واعتبار قيمة الإنسان ومواهبه، والتعهد الفردي والجماعي، والتدريب المهني والسلوكي، ومرونة وصدق العلاقات الاجتماعية، والإفادة من الغير، وتأسيس الدراسات، وسائل فعالة جدا في احتضان كل ما سبق ثم تحقيقه.